التسلسل : ١٢ – ١٥

اسم المادة : تاريخ المغرب الوسيط .

اسم المحاضرة: الدولة الصنهاجية (٣٦٢ – ٤٠٨ هـ) + الدولة الحمادية (٣٩٤ – ٥٤٧هـ)

في مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وعلى وجه التحديد عندما انتزع الفاطميون أفريقية من أيدي الأغالبة ، بدأ ظهور الصنهاجيين التابعين لقبيلة بربرية حضرية مستقرة غربي المغرب الأوسط قبل أن يتحول المعز الفاطمي نهائياً إلى مصر، أقام معسكراً خارج المنصورية وبعدما أتم جميع الاستعدادات توجه إلى قرية قريبة من القيروان وهناك جرى موكب التقليد الرسمي عام ٣٦١ هـ .

شغل فكر المعز الفاطمي عندما عزم المسير إلى مصر فيمن يخلفه على المغرب فوقع الاختيار على أبي أحمد جعفر بن علي ابن حمدون الأندلسي فاستدعاه وأسر إليه أنه يريد استخفافه بالمغرب فقال تترك معي أحد أولادك أو أخوانك جالساً في القصر ولا تسألني عن شيء من الأموال ، وإذا أردت أمراً فعلته ولم أنتظر ورود الأمر فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج من قبل نفسي فغضب المعز وقال يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت أن تجعل لي شريكاً في أمري واستبددت بالأعمال والأموال دوني قم فقد أخطأت حظك وما أصبت رشدك وبعد ذلك استدعى الخليفة الفاطمي المعز بلكين بن زيري الصنهاجي وقال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ابن زيري العرض وقال يا مولانا أنت وأباك الأئمة من ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما صفا لكم من بلاد المغرب فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري أقبل يا مولاي ولكن بشريطة أن تولي القضاء والخراج لمن تختاره ويكون الأمر لهم ، و تكاد تجمع المصادر كلها على أن المعز قدم إلى بلكين ثلاث توصيات قبل أن يودعه فقد فقال له لا تنس ثلاثة أشياء إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية والسيف عن البربر ولا تول أحد من أخوتك أو بني عمك فإنهم يرون أنهم أحق منك وافعل مع أهل الحضر خيراً وسلم إلى بلكين جميع مقاطعات المغرب وأفريقية ما عدا طرابلس التي ولى عليها أحد الكتاميين وقد قدم المعز إلى بلكين خلعة الخلافة وألبسه ثياباً فاخرة وأهدى إليه أحسن ما عنده من الخيول وعهد إليه بقيادة الجيوش وجمع الضرائب وإدارة الأقاليم وجعل خاتمه في يده وأصبحت الرسائل الصادرة من بلكين مستشهداً بالعبارة (من عبد الله أبي الفتوح يوسف ابن أبي زيري خليفة أمير المؤمنين) ذلك أن الخليفة قد كان عوض اسم بلكين البربري باسم يوسف وكناه بابي الفتوح عوض كنيته (أبو حبوس) كما أفضى عليه لقباً وهو (سيف الدولة) .

أهم أعمال بلكين في بلاد المغرب الأوسط

١ – حملة بلكين على المغرب الأوسط

رحل بلكين إلى بلاد المغرب في عام ٣٦٢ هـ على رأس جيش صنهاجي وفرقة كتامية كان المعز قد تركها بأفريقية . وتعد هذه الإشارة مهمة على أن جميع الكتاميين لم يصاحبوا الخليفة الفاطمي إلى مصر

٢ – تعيين عبد الله الكاتب عاملاً على أفريقية

على أثر وفاة جعفر بن تومرت عامل القيروان أعلم زيادة الله بن القديم بلكين بذلك وطلب إليه أن يعوض بشخص آخر يساعده على إدارة شؤون البلاد فقرر تعيين عبد الله بن محمد الكاتب التميمي وهو ابن الأمير الأغلبي وكان بارعاً في كتابة الرسائل والخطابة وكان من حذاق اللغة العربية واللغة البربرية فعينه ابن زيري كاتباً على ديوان الأنشا ،

وفاة بلكين وولاية ابنه المنصور (٣٧٣ – ٣٨٦هـ)

أدركت بلكين المنية عام ٣٧٣هـ على أثر مرض أقعده في مكان يقع بين سجلماسة وتلمسان وقد حكم بلكين ثلاث عشرة سنة وبضعة أشهر بصفته أمير صنهاجة ، خلفاً لبني زيري بن مناد وحكم اثنتي عشرة سنة بوصفه خليفة للفاطميين وقد ترك بلكين من بعده عدداً كبيراً

من أعمال المنصور بن بلكين بناء قصر المنصورية

في عام ٣٧٥ هـ أمر أبو الفتح المنصور أن يعمل بالقيروان أبواب من حديد وأمر ببناء قصره الكبير ببصيرة المنصورية ، وتم بناءوه بسرعة فائقة في عام ٣٧٦ هـ وأحاط هذا القصر والقصر المجاور له الذي كان قد بناه شفيع الصقلبي صاحب المظلة سوراً واحداً وغرس حوله الأشجار من كل ناحية ، فبلغ الإنفاق عليه ثمن مائه ألف دينار وفي عام ٣٧٧هـ

وفاة المنصور وولاية ابنه باديس (٣٨٦ – ٤٠٦هـ)

في عام ٣٨٦ هـ توفي أبو الفتوح المنصور بن زيري بن مناد الصنهاجي ودفن بقصره الجديد الخارج عن المنصورية وكانت أيامه من أحسن الأيام ولم يعش الخليفة الفاطمي نزار العزيز بالله بعده سوى ستة أشهر إذ أدركته المنية وتولى ابنه الحاكم بأمر الله خلفاً عنه وعندما توفي المنصور ارتقى ابنه باديس العرش وكان عمره لا يتجاوز اثنتي عشرة سنة .

نهاية الدولة الصنهاجية عام ٤٠٨هـ

وكانت من أهم أعمال باديس أنه عقد ولاية أشير لعمه حماد بن أبي الفتوح بن يوسف بن زيري بن مناد فخرج عاملاً عليها وأعطاه خيلاً كثيرة وكسى جليلة ويبدو أنه حماداً قد أحتفظ أيضاً بالمسبيلة وأصبح يحكم باسم باديس بلاد المغرب ولهذا لم يتأخر حماد عن التوسيع من نطاق سلطته وتكوين جيش عتيد وجمع ثروة طائلة وانتهى به الأمر إلى الثورة على الدولة الصنهاجية وتسقيطها وإنشاء الدولة التي ستحمل أسمه في المغرب الأوسط (دولة بني حماد)

الدولة الحمادية (٣٩٤ – ٥٤٧هـ)

سميت دولة بني حماد نسبة إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري بن مناد ابن منقوش بن صنهاج ، يذكر ابن عذارى في كتابه البيان المغرب بانه قرأ الفقه في القيروان ونظر في كتب الجدل توفي عام ٤١٩ هـ ، اما شخصيته فكانت من الصفات التي يرجع بعضها إلى العامل البيئي وبعضها إلى العامل الوراثي وبعضها أضطرته أليه ظروفه كمؤسس دولة ومن خلال ذلك يكون حماد شخصية طموحة عنيفة لا يصدها عن غاياتها عاطفة أو قانون أخلاقي أو ديني ، و بعد أصابت باديس أمير دولة صنهاجة في المغرب التابعة للدولة الفاطمية باليأس الكامل في إمكان حكم البلاد والتي تحت يديه حكماً مباشراً فلم يرَ بداً من التنازل الجزئي في إطار صنهاجة لأبرز شخصياتها ألا وهو عمه حماد بن بلكين ولم يترك حماد الفرصة فاشترط على ابن أخيه شروطاً تشرط فيها: تملك حماد ولاية أشير والمغرب الأوسط / تملك حماد كل ما يفتحه من بلاد زناته / إن لحماد حق اختيار مكان إقامته (عاصمة) كما يشاء/ إمداد حماد بالعتاد والمال والرجال ، إن بناء القلعة في عام ٣٩٨ هـ واختيارها كعاصمة ارتبط ارتباطاً وثيقاً باستقلال شخصية الدولة الحمادية فضلاً عن الدور الذي لعبته القلعة في حماية الدولة كما أن بناء القلعة كان تنفيذاً لشرط من أهم شروط العقد السياسي بين حماد وابن أخيه باديس ، تمثل الدولة الحمادية أول دولة بربرية مستقلة تحكم الجزائر في المغرب الإسلامي لقد دام عمر الدولة الحمادية ما يقرب من قرن ونصف منذ اختط حماد القلعة إلى سقوطها على يد عبد المؤمن بن علي زعيم دولة الموحدين وقد حكم الدولة الحمادية تسعة أمراء اختلفوا قوة وضعفاً وأسلوب الحكم وكان حماد هو المؤسس للدولة ثم خلفته ذريته من بعده إلى أن جاء يحيى بن العزيز الحمادي فكان تاسع وآخر أمراء بني حماد ٥١٥ – ٥٤٧ هـ ، سقطت الدولة الحمادية في عام ٥٤٧ هـ في عهد الأمير يحيى بن العزيز .

المصدر: تاريخ المغرب العربي د. عبد الواحد ذنون طه واخرون ، ليبيا ، ٢٠٠٤ .